جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان كلية العلوم الاجتماعية
شعبة الانثروبولوجيا د. عبد اللاوي ليندة

مقياس : ميادين الانثروبولوجيا

السنة الثانية LMD أنثروبولوجيا

عنوان المحاضرة: الأنا و الآخر

المحاضرة الثانية عشر: الأنا و الآخر من المنظور الاثنولوجي

تمهيد :

كان على الأوروبيين المرور من مراحل كي يتم الاعتراف بالآخر " المتوحش". لقد أدمج هذا المتوحش لأول مرة في العقل الأوربي ضمن الآدميين ابتداء من منتصف القرن السابع عشر مع فلاسفة الأنوار، خاصة مع ظهور مفهوم المتوحش الطيب Le bon sauvage الذي يجسد "طفولة الانسانية" من المنظور الاثنولوجي.

فحسب شارل مونتيسكيو Charles Montesquieu فهذا المتوحش ببراءته وصفائه وقربه من الطبيعة أصبح موضوع تمجيد مقارنة بالانسان الغربي الذي أفسد الجشع المادي والحضارة سلوكه الانساني الفطري. ومع جان جاك روسو Jean Jaques Rousseau عرف مفهوم المتوحش

الطيب بعده الفلسفي في كتابه " خطاب حول أصول اللامساواة بين البشر[1] والذي اعتبر أن الانسان يولد طيبا ولكن الحضارة هي التي حولت طبيعته الأصلية ليصبح على ما هو عليه من شر. ان فلسفة الأنوار في بحثها عن " الجنة المفقودة " وجدت في الانسان "البدائي" غايتها ونموذجها من اجل انتقاد الحضارة وما وصل اليه الانسان الاوروبي من انحطاط على مستوى القيم الانسانية المثلى.

هذه الفلسفة هي التي مهدت لادماج الانسان "المتوحش" و" البدائي" في دائرة المجتمعات الانسانية وتوسع دائرة الاهتمام به ليس ككائن حيواني بل كبشر.

ان دفاع فلاسفة الانوار عن هذه الشعوب وقيمها لم يضع حدا للنظرة المتعالية التي يظل الغرب ينظر بها لهذه المجتمعات. فحتى حين اعترف بإنسانيتها ، ظلت في أسفل درجة التقدم بالنسبة لهم وفي احسن الاحوال ترمز الى "طفولة الانسانية"[2]

لكن يشير فريق من العلماء الانثروبولوجيا الى أن ثمة شيئا هاما يميز مجال هذا العلم عن مجالات الدراسة في العلوم الأخرى ، وهو الذي يتمثل في : سعة أفق هذا المجال حيث تعنى الانثروبولوجيا بمشكلات الحياة الانسانية كما تقع في أوسع مدى ممكن من المجتمعات الانسانية[3] .

وفي هذا السياق أيضا فان الأنثروبولوجيا تختلف من حيث الطريق الذي تتخذه لنفسها لتدخل منه الى المشكلات التي تتعامل معها. وتواجد أساس هذا المدخل المتميز في ذلك الاهتمام المتغلغل في نفس الأنثروبولوجي وعقله ووجدانه، بالثقافة كأساس للحياة الانسانية.

---

[1] Rousseau J-J, Discours sur l'origine et les fondements de l'inégalité parmi les hommes, Marc Michel Rey. MDCCLV, Amsterdam, 1755.

[2] رحال بوبريك، مدخل الى الأنثروبولوجيا، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، الرباط، 2014، ص ص 15-16

[3] Swartz, M.Etal, Anthropology, London, 1972, p5

ونظرا لتعلقه الشديد بمسألة الثقافة، وتحقيقا للمزيد من فهمها، يقوم الأنثروبولوجي بجمع المعلومات التي يحتاجها، من خلال تكوين أقصى ما يستطيع من علاقة وثيقة وعميقة مع من يقوم بدراستها[4].

وفيما يخص الثقافات الانسانية ، ثمة نظم فكرية عديدة تهتم بالبحث في الطبيعة البشرية ومنجزات الانسان، وفي العلاقات بين الكائنات الانسانية، بعضها قديم والآخر حديث. ويمكن النظر اليها على أنها فروع وشعب للدراسة المشروعة للإنسان.

ان أقدمها يتمثل في تلك الاسهامات التي تمت في مجالات الفلسفة الاخلاقية، وعلم اللاهوت، وتاريخ الأساطير، ومختلف التفسيرات التي وضعت للقانون القديم والعرف. كما أن بالإمكان تتبع مثل هذه الاسهامات، في الثقافات الممتدة الى العصر الحجري، حيث ازدهرت ازدهارا ملحوظا في الحضارات القديمة للصين، والهند ، وغرب آسيا ، ومصر.

البعد الأورومركزي في بدايات الاثنولوجيا:

تعتبر الجهود الفكرية الاخرى مثل تلك التي بذلت في مجالات : علم الاقتصاد، وفقه القانون، وعلم السياسة، وعلم الجمال، وعلوم اللغة ، والاركيولوجيا ، والدراسة المقارنة للأديان، بمثابة اسهامات جديدة واضافات للاتجاه الانساني. كما أضيف علمان جديدان في القرنين الماضيين الى قائمة الدراسات الأكاديمية الرسمية، وهما : علم النفس، وعلم الاجتماع.

[4] Beals, R.Etal, AZn introduction to Anthropology, 5th edition, London, pp18-20

أما عن الانثروبولوجيا فقد جاءت بعد كل هذه النظم الفكرية والعلمية، وكان لزما عليها ان تقوم بمهمة تحديد : مجالها و موضوع دراستها، ومنهجها في البحث. انها تتكون من در سات معينة مثل: علم آثار ما قبل التاريخ، والفلكلور ،الانثروبولوجيا الفيزيقية ،والانثروبولوجيا الثقافية[5]

واذا كانت للأنثروبولوجيا مواضيع ومجالات بحث مشتركة مع علم الاجتماع ، فان ذاك الخيط الرفيع الذي يفرق بينهما تم توضيحه بدقة مع النصف الثاني من القرن التاسع عشر أين جاء التقسيم الشائع اليوم بحيث تهتم السوسيولوجيا كعلم يدرس المجتمعات الحداثية والانثروبولوجيا كعلم يدرس المجتمعات التقليدية[6].

وعن محل الاثنولوجيا من كل هذا ، فهي ، بصرف النظر عن التبريرات التي تكمن وراء هذا التقسيم، لا يخفى البعد الأورومركزي القائم على تفوق أوربا عن باقي المجتمعات واعتبارها مرجعا كونيا للمجتمعات الانسانية في تطورها.

فيوجد الأنا الاوروبي ومجتمعات "الآخر" المغاير غير الأوربي. ان ارتباط الانثروبولوجيا بدراسة "الآخر " جعلها علما على دراسة الاختلاف altérité من منطلق الأنا الاوروبي ومرجعياته وأطر تفكيره ولكن هذا المنطلق استمر لمدة عقود ولم تتخلص منه الانثروبولوجيا عامة والاثنولوجيا خاصة الا ابتداء من منتصف القرن العشرين بعد مراجعات فلسفية وايديولوجية وسياسية عرفها العقل الغربي.

---

[5] أنظر:
Maliniwski, B, A scientific theory of culture and other essays, Oxforduniversity press, New York, 1960
[6] رحال بوبريك، مدخل الى الانثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 17

ان نظرية سمو عرق على عرق آخر والتي تأسست عليه الأنثروبولوجيا في بدايتها مع النظرية التطورية، لم تلبث ان تم تجاوزها خاصة أن أوربا، مهد هذه الايديولوجيات العنصرية، ستكتوي بنارها مع ظهور النازية. فألمانيا مثلا عند قيام الحرب العالمية الثانية ستقوم على أساس سمو العرق الآري عن كل الأعراق بما فيها الاوروبية، وانطلاقا من هذه النظرة قاد ادولف هتلر حمل وعسكرية شرسة انتهت باحتلال بلدان مجاورة وسن سياسة ابادة ممنهجة ضد اليهود وأقليات أخرى (الغجر) في اوروبا نفسها على أساس ديني واثني.[7]

[7] المرجع نفسه ، ص ص17-18